﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ [آل عمران 141]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين مظاهر البلاء الممحّصة للمؤمنين، والماحقة للكافرين

بعد أن سلَّاهم في الآية السَّابقة بما حصل لهم من الهزيمة، ناسَب أن يُبيِّن لهم الحِكمةَ مِن هذه الهزيمة[1]، حيث جعل القرح المؤلم الّذي أصاب المؤمنين ذا فائدتين مباشرتين: إحداهما أنّه تمحيصٌ للمؤمنين من أعراض الدّنيا وأدرانها، ومن أهل القلوب الفارغة من الإيمان، والمليئة بزيغ الشّيطان؛ من النّفاق والافتتان؛ فلا تصغي إليهم الآذان، ولا تركن إليهم العقول والأذهان.

وثانيهما أنّه مَحْقٌ لأهل الجحود والكفران، فينقص أوار الكفر، وتتلاشى قوّته وسطوته، وبذلك يصبح القرحُ سبيلًا إلى النّصر، والامتحانُ وسيلةً لتثبيت الإيقان[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: أي: ليُطهِّر، ويَختبر، ويُنقِّي؛ والتَّمحيصُ: الابتلاءُ والاختبارُ، وأصلُ المحْص: تخليصُ الشَّيءِ، وتنقيتُه ممَّا فيه من عَيب[3]، وعلى الوجهين - التّطهير والاختبارُ - يفسّر قول الله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الآية[4]، والتّمحيص: التّنقيص، يقال: مَحَّصَ اللّٰه عنك ذنوبك، أي نَقصَها، فسمّى الله ما أصاب المسلمين من بلاء تمحيصًا، لأنّه يُنقص به ذنوبهم، وهو المأثور عن ابن عرفة[5].

(1) السريح، التناسب بين الآيات، دار الحضارة، ط1، 2022م: 1/505.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/424.
(3) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 112، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (محص).
(4) نشوان الحميري، شمس العلوم: (التّمحيص).
(5) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التّمييز: 4/4986.

2) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: الإيمان: الإقرارُ بالشَّيء عن تصديقٍ به، وضِدُّه: الكُفر، يُقال: آمن به إيمانًا: صدَّقه. وأصله الدُّخول في صِدق الأمانة الَّتي ائتمنه الله تعالى عليها[1]، وتمحيص الّذين آمنوا: اختبار مدى صدق إيمانهم، لمعرفة من هو صادق الإيمان ممّن في إيمانه لبس، أو في اعتقاده شُبهة، فلا يعروه بلاء حتّى يضطرب إيمانه، ويذهل عن يقينه بربّه، لكنّ المؤمن على الحقيقة، لا تحرّكه العواصف، ولا تزحزحه القواصف.

3) ﴿وَيَمۡحَقَ﴾: يُهلك ويُنقص، وأصل المَحْق: النُّقصانُ، أو نقصانُ الشّيءِ قليلًا قليلًا[2]، ومَحَقَهُ الله فانمحق وامتحق: أي ذهبَ خيرُه وبَركته ونقصَ، قال الشّاعر:

يَزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ أَعْقَبَهُ***كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ نَقْصًا ثُمَّ يَنْمَحِقُ[3]

وقد استعمل السّياق هذا اللّفظ، لما فيه من قوّة الدّلالة على الإزالة، وما في المحق من تأثير.

قال الأصمعيّ: يقال جاء فلان في ماحقِ الصّيف، أي: في شدّة حرّ[4]، فكلّ ما اشتدّ حتّى أزال وأثّر، فهو ماحق، وقد كان التّمحيص من الله محقًا للكافرين.

4) ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: الكُفْرُ: نَقيضُ الإيمانِ، ويأْتي الكُفْرُ بمعنى الإنْكارِ والجُحودِ، فيُقال: كَفَرَ بالنِعْمَةِ، أيْ: أَنْكَرَها وجَحَدَها. وأَصْلُ الكُفْرِ: السّتْرُ والتّغْطِيَةُ، ومنه سُمِّيَ غَيْرُ المُؤْمِنِ كافِرًا؛ لأنّهُ غَطّى الحَقّ والإيمانَ[5]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ١٨﴾ [القصص: 48] أي جاحدون. وقوله تعالى: ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ٩٩﴾ [الإسراء: 99]، قال الأخفش: هو جمع كُفُرٍ، مثل بُرُدٍ وبُرُودٍ[6]، وقد سلّط الله المحق على الكافرين، وأصل التّمحيق محو الآثار، وهو الّذي يحصل للكافرين، باستئصال وجودهم المعنويّ، مقابل التّمحيص للمؤمنين الّذي يُطهَّرون به ويثبتون.

(1) الخليل، العين، والأزهريّ، وتهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (أمن).
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (محق).
(3) الخليل، كتاب العين: (محق)، والنويري، نهاية الأرب: 1/8، وعزاه لابن بحر.
(4) السّرقسطيّ، الدلائل في غريب الحديث: 2/764.
(5) الأزهري، وتهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (كفر).
(6) الرّازي، مختار الصّحاح: (كفر).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

قرح الهزيمة الأليمة، تمحيص للمؤمنين، ومحق للكافرين

عبّر سيّاق الآية عن الهزيمة الّتي وقعت في غزوة أُحُد، وقد كانت بمثابة القرح المُؤلم، الّذي محّص اللّه به المؤمنين فطهّر قلوبهم من الكدر، ومحا ما تركته الهزيمة من ضرر، ونقّى المؤمنين من الذّنوب، وأماط عنهم العيوب، وأظهر أهل النّفاق المندسّين في الصّفوف، وأهلك الكافرين، وأزاح ما يمثّلونه من خطر، وأبطل ما لديهم من تأثيروأثر، والآية تشير إلى مسلك الاستفادة من الهزيمة، باعتبارها تمحيصًا لأهل الإيمان، ومحقًا لأهل الضّلالة والكفران، فتكون الهزيمة سبيلًا للنّصر، ومسلكاً لإعلاء كلمة اللّه جلّ في علاه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة اللّام في قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾:

اللّامُ للتّعليلِ، وتكريرُها للمغايرةِ في العلّةِ، على معنى أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يستحقُّ أنْ يكونَ علّةً قائمةً برأسِه؛ لِأنّه في هذهِ الآية في مقامِ ابتداءِ غرضٍ أصليٍّ يتأسَّسُ عليه غرضٌ فرعيٌّ، كالآيةِ الأُولى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: 140][2]، وأفادَ التّكريرُ تأكيدَ التّمحيصِ لأهميّتِه، كما أنَّ وقوعَ الفصلِ بينهما بالاعتراضِ زادَهُ حسنًا، ولمّا لمْ تلحقِ اللّامُ الفعلَ ﴿وَيَمْحَقَ﴾ أشعرَ بأنَّ التّمحيصَ هو الأهمُّ، ولهذا قُدِّمَ.

بلاغةُ المقابلةِ في قولِه تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

تمحيصُ المؤمنِ بمحْقِ الكافِرِ

يحتملُ العطفُ بواوِ التّشريكِ في الحكمِ أنْ يكونَ على معنى افتراقِ الفعلين، وعلى معنى اجتماعِهما، فأمّا إذا كانَ على الافتراقِ، فالمقابلةُ على معنى أنَّ المداولةَ بينَ المؤمنينَ والكافرينَ إنْ حصلَ فيها الغَلَبةُ للكافرينَ على المؤمنينَ كانَ المرادُ تمحيصَ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1425.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/91.

ذنوبِ المؤمنينَ، وإنْ كانتِ الغَلَبةُ للمُؤمنينَ على هؤلاءِ الكافرينَ كانَ المرادُ محقَ آثارِ الكافرينَ ومحوَهُم، فقابلَ تمحيصَ المؤمنينَ بمحقِ الكافرين؛ لأنَّ تمحيصَ هؤلاءِ بتصفيةِ ذنوبِهم نظيرُ مَحقِ أُولئكَ بإهلاكِ أنفسِهم، وأمّا إذا كانَ العطفُ على الاجتماعِ، فالمقابلةُ بمعنى اقترانِ حصولِ تصفيةِ ذنوبِ المؤمنينَ بمحقِ الكافرينَ في وقتِ الجهادِ في سبيلِ اللّهِ ومسِّ القرحِ، فيكونُ فَضيلَةً في جَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَزِيَّةً في جَانِبِ الْكَافِرِينَ في الوقتِ نفسِه[1].

التَّكاملُ الدّلالي بينَ كلمتي: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ و﴿وَيَمْحَقَ﴾:

التَّمحيص للمؤمنين والمحقُ للكافرين

جاءَ الفعلانِ بصيغةِ المضارعِ؛ ليدلَّا على استمرارِ وقوعِ فعلِ التَّمحيصِ للمؤمنينِ والمحقِ للكافرينَ وكفرِهم، وكلا التَّعبيرين (التَّمحيص والمَحق) يتضمَّنانِ معنى الإزالةِ؛ إلَّا أنَّ في الأوَّلِ إزالةَ الآثارِ وإزاحةَ الأوضارِ بتخليصِ المؤمنينَ منها، وفي الثَّاني إزالةَ العَينِ وإهلاكَ النَّفْسِ بالتَّنقيصِ شيئًا فشيئًا، وقدّم المحصَ على المحقِ لأهميّتِه إذْ كانَ نفعًا أخرويًّا[2].

بلاغةُ الاستعارةِ في قولِهِ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

في استعمالِ الفعلينِ (يُمَحِّصَ، يَمْحَقَ) مجازٌ بالاستعارة[3]، إذْ شبّهَ تنقيةَ المؤمنينِ مِنَ الذُّنوبِ بتمحيصِ الذَّهبِ بالنَّارِ؛ لتخليصِه ممّا يشوبُه منَ العيوبِ والشَّوائبِ، على سبيلِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ؛ للإشعارِ بأنَّ الذُّنوبَ بمثابةِ العيوبِ والشَّوائبِ الَّتي ينبغي أنْ يُنَقَّى المؤمنُ منها، كما يُنَقَّى المعدنُ الأصيلُ؛ وكفى صفاءً وتنقيةً للمؤمنين إذا كانَ اللّهُ هو الذي يمحّصُهم.

ومثلُه في نوعِ الاستعارةِ قولُه تعالى ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إذ

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/375، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/40، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/104.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 3/356، والآلوسّي، روح المعاني: 2/284، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/10.
(3) الزمخشري، أساس البلاغة: 2/195 - 196، وأبو حيان، البحر المحيط: 3/357.

شبّهَ إزالةَ الكافرين شيئًا فشيئًا بمحقِ الشَّيء الماديِّ، ومنه إمحاقُ الهلالِ إذا امّحقَ ضوءُهُ فلم يُرَ، على معنى تناقصِهم شيئًا فشيئًا إلى أنْ يَهلكوا.

نكتة التعبير بالاسم الموصول وصلتِه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

أفادَ التّعبيرُ بالاسم الموصولِ وصلتِه أنَّ الذُّنوبَ قد تصيبُ مَنْ يفعلُ أفعالَ الإيمانِ، وأنَّ تمحيصَ الذين آمنوا مِنَ الذُّنوبِ مَدحٌ لهمْ وليسَ ذمًّا.

بلاغةُ إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

تسليةُ المؤمنين بـذكـر الاسـم الجليل (الله)

أظهر الاسم الجليل في موضع الإضمار؛ لمناسبة المقامِ، أي لإحضارِه في ذهنِ السامعِ ابتداءً؛ بطريق الإظهار ليتميّز الاسم الجليل عمّن عداه، فيتقرَّر المعنى، وفيه تسليَةٌ للمؤمنين، ولإظهار تعظيمِ الاسمِ الجليلِ، ولمزيد الاعتناء بشأنِ التّمحيص[1].

دلالة التَّعبير بلفظ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

كلمة ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في الآية عامٌّ، أُريد به الخصوصُ؛ فالمرادُ بهم هنا طائفةٌ مخصوصة، وهم الذين حارَبوا رسولَ الله ﷺ؛ لأنَّه تعالى لم يَمْحَقْ كلَّ كافر، بل كثيرٌ منهم باقٍ على كُفرِه[2].

مناسبة تكثيرِ العلل وترتيبها في الذِكرِ:

ذكر أربعةَ عللٍ، هي قوله تعالى ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ وعلّة تمحيص المؤمنين ومحق الكافرين؛ لِلإيذانِ بعظمِ المداولةِ الذي تنشأ منهُ هذهِ العللُ، ولِلإشعارِ بأنَّ المصلحةَ فيما فعلَ ليست بواحدةٍ؛ ليسلِّيَهم عمَّا جرى عليهم، ولِيبصرَهم أنَّ العبدَ يسوءُهُ ما يجري عليه من المصائب، ولا يشعرُ أنّ للّهِ في ذلك

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 180، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/91.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/375، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/356.

مِنَ المصالح ما هو غافلٌ عنهُ، وقدّم العلل الثلاث الأولى في الذكر باعتبار كونِها على المؤمنين؛ لأنها المحتاجةُ إلى البيان، ولما فيها من نفعٍ أخروي[1].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

التَّمحيص والابتلاء:

يختلف التَّمحيص عن الابتلاء، في أنَّ الابتلاء هو: اختبارالعبد لإظهار حقيقة أمره، وإخراج خبيئة داخله، ويتضمَّن أمرين: الأوَّل: تعريف حاله والوقوف على ما يخْفى من أمره، والثَّاني: ظهور جودته ورداءته، وقد يُقصد به أحد الأمرين، أو كلاهما؛ لكن لو نسب الابتلاء إلى الله؛ فلا يراد منه إلَّا ظهور جودته ورداءته، فإنَّ الله يعلم حقيقة أمره[2]، أمَّا التَّمحيص؛ فهو: التَّنقية والتَّخلُّص من العيوب، يقال: محصت الذّهب بالنّار، إذا نقي من شوائبه، فاستعمال القرآن للفظ التّمحيص، دون لفظ الابتلاء، آثر في المعنى المراد من هذا السّياق، إذ يراد به معنى النّقص من الذّنوب، ويراد به التّطهير من العلائق، وفي كليهما فائدة للمؤمنين الممحّصين، تدلّ على مقامهم عند الله الّذي آثرهم بالتّمحيص، دون سواهم من الكفرة الممحوقين.

المحق والسَّحق:

فالمحق ذهاب الخير من الشّيء أو الشّخص، وذهاب بركته ونقصانه، ومحقه يمحقه محقا، أي أبطله ومحاه. وتمحّق الشّئ وامتحق[3]، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: الْإِمْحَاقُ أَنْ يَهْلِكَ كَمِحَاقِ الْهِلَالِ، لأنّ الهلال بعد أن يصير بدرًا كاملًا، يتناقص حتّى يصير محاقًا ذاويًا رقيقًا[4]، فالمحق هو: تنقيص الشَّيء قليلًا قليلًا، أو يذهب هو بالكلِّيَّة على نحو ما قدَّمنا، والسَّحق هو: تفتيت الشَّيء حتّى يَبْلى، فيقال: سحقه؛ إذا جعله باليًا[5] إذا سحقت الشّيء أسحقه سحقًا، إذا دققته، وأسحق الرّجل إسحاقًا إذا بعد، وقال قوم: بل هذا فعل يتعدّى: أسحقه الله إسحاقًا، مثل قولهم: أبعده الله إبعادًا[6]، والسّياق في هذه الآية آثر استعمال

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/420، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/91، والآلوسّي، روح المعاني: 2/284.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/91، والآلوسّي، روح المعاني: 2/284.
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (محق).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (محق).
(5) السَّمين، عمدة الحفّاظ: (محق).
(6) ابن دريد: جمهرة اللّغة: (سحق).

لفظ (يمحق) لا لفظ (يسحق)، لأنّ المراد تصوير بشاعة مصير الكافرين، وأنّ المراد محقهم، بما يحمله اللّفظ من دلالة.

المحق والمحو:

المَحقُ يكون في الأشياء ولا يكون للشَّيء الواحد[1]، وإذهاب الشَّيء إزالته وجعله ذاهبًا؛ أي لا وجود له[2]. وأمَّا الفرق بين المحق والمحو: فالمحق الإذهاب بالكليّة بقوّة وسطوة[3]. والمحو: إزالة الأثر[4]، والمحو لكلّ شيء يذهب أثره. تقول: أنا أمحوه وأمحاه. وطيء تقول: محيته محيًا ومحوًا، وامَّحى الشّيء يمَّحي امِّحاء[5]، ولم يُستعمل المحو، لأنّ القصد ليس إزالة الأثر فقط، بل محقهم بالكليّة.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 486.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/74.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/134.
(4) الرّاغب، المفردات: (طمس).
(5) الخليل، العين: (محو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»